مراجعة الكتب

ما هي الصهيونيّة المسيحيّة الأصوليّة؟

نشرة صادرة عن:
مجلس كنائس الشرق الأوسط
نقلها إلى العربيّة حسنيّ زينه
بيروت، ١٩٩١، ٤٧ صفحة

قامت في الغرب منظّمات أصوليّة تطلق على أنفسها اسم «الصهيونيّة المسيحيّة»، ويزعم أعضاؤها بأنّ الله قد دعاهم إلى تشجيع دولة إسرائيل الحاليّة وشدّ أزرها ودعم سياستها، لأنّ تلك الدولة هي في نظرهم تحقيق لنبوءات الكتاب المقدّس. وباتت هذه المنظّمات مصدر قلق بالغ لكنائس الشرق الأوسط لأنّها تخلط بين السياسة والدين، وتعرقل مساعي الوحدة والعدل والسلام، وتنتقض شهادة الكنائس لإنجيل المسيح في المنطقة.

وليس تأييد المسيحيّين الأصوليّين للصهيونيّة السياسيّة ظاهرةً جديدة في التاريخ، بل إنّه يضرب جذوره في مفهوم لاهوتيّ قديم يقال له «القدريّة السابقة» ـ أو الاختيار المسبّق ـ روّجته بعضُ التيّارات في حركة الإصلاح البروتستانتيّ والفكر الرؤيويّ اليهوديّ. لكنّ هذا المفهوم لم يتّخذ صورة الحركة والنظام اللاهوتيّ إلاّ في السبعينات والثمانينات من قرننا الحاليّ. وكانت انتصارات دولة إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وحتّى ١٩٦٧، حيث استولت على القدس، بمثابة الحجّة القاطعة على أنّ إسرائيل حقّقت النبوءات وتستحقّ الدعم كاملاً.

وفي ٣٠ أيلول ١٩٨٠ قامت منظّمة «السفارة للمسيحيّة» بفتح أبوابها في القدس الغربيّة في احتفال رسميّ، وهي تعلن نفسها مؤسّسة صهيونيّة مسيحيّة ذات نظرة عالميّة لتأييد سياسات إسرائيل وعودة أرض الميعاد ـ فلسطين ـ إلى شعب الله المختار ـ اليهود. ومن المشاريع التي تتعاون فيها «السفارة» مع القيادة السياسيّة الإسرائيليّة: العمل في اللوبي الصهيونيّ، الترويج للبضائع الإسرائيليّة، السعي إلى توطين اليهود السوفيات في إسرائيل، الدفاع في الصحافة عن السياسة الإسرائيليّة، الدعوة إلى الصهيونيّة المسيحيّة في الغرب. و«السفارة» شديدة النشاط في الولايات المتّحدة وكندا، في إنكلترا وهولندا وسويسرا وألمانيا والنروج وفنلندا، في أوستراليا ونيوزيلندا وإفريقيا الجنوبيّة.

وقد نظّمت «السفارة» المؤتمر الصهيونيّ المسيحيّ الأوّل في بازل بسويسرا إبّان شهر آب ١٩٨٥، والمؤتمر الثاني في القدس بين ١٠ و١٥ نيسان ١٩٨٨ ليوافق الذكرى الأربعين لإنشاء دولة إسرائيل. وكلا المؤتمرين ينسجم بخطبه وبياناته مع سياسات الحكومة الإسرائيليّة. وفي

الكتيّب الذي نقدّمه ملحق يشر قرارات هذين المؤتمرين وهي صريحة غاية الصراحة في دعمها لدولة إسرائيل. ولا يسعنا من جهتنا إلاّ أن نبيّن مخاوف مجلس كنائس الشرق الأوسط من الصهيونيّة المسيحيّة، فهي إذ تعلي من شأن الصهيونيّة السياسيّة الحديثة تقدّم للمسيحيّين نظرة إلى العالم يختلط فيها الإنجيل بإيديولوجيّة الغلبة والروح العسكريّة. وعلى حدّ ما جاء في الكتيّب، إنّ تلك الحركة «تولي الأهميّة العظمى لحوادث تقود إلى نهاية التاريخ بدلاً من إيلائها لعيش محبّة المسيح وعدالته اليوم». وهي «اختزال خطير للإيمان المسيحيّ (. . . .) من شأنه المضيّ قدمًا بقضيّة دولة من الدول أو شعب من الشعوب على حساب غيره من الشعوب من خلائق الله، وحتّى على حساب الكنيسة الحيّة».

أ. كميل حبيبه

المسيحيّة في ميزان المسلمين

تأليف أبو موسى الحريريّ
سلسلة «الحقيقة الصعبة»، رقم ١١، دار لأجل المعرفة،
ديار عقل (لبنان)، ١٩٨٩، ٢٥٥ صفحة

لا يمكن الفيل والحوت أن يتحاربا، فكلّ منهما يعيش في عالم يختلف كلّيًا عن عالم الآخر. ويبدو أنّ مقولة كتاب الحريريّ هي أنّ المسلم والمسيحيّ هما في وضع مماثل لوضع الفيل والحوت.

الكتاب ردّ على ردّ. إلاّ أنّه في الوقت نفسه كتاب مهمّ لأنّه يعالج مسائل هي بمكان من الخطورة: الاختلافات بين المسيحيّة والإسلام.

ألّف أبو موسى الحريريّ كتاب قسّ ونبيّ (١٩٧٩)، فردّ عليه الكاتب الشيعيّ شريف محمّد هاشم بمؤلّف أضخم بكثير عنوانه الإسلام والمسيحيّة في الميزان (مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٨، ٧١١ صفحة). والكتاب الذي ندرسه الآن هو ردّ على الهاشم.

القسم الأوّل هو مجرّد عرض ـ بواسطة الاستشهادات ـ لما جاء في كتاب شريف محمّد هاشم من عنف وأغلاط في سرد الوقائع وعرض البراهين. وهذه الأغلاط لا يصعب العثور عليها لأنّ الهاشم يرى أنّ قسّ ونبيّ هو تهجّم على الإسلام فيردّ بحملة له شاملة على المسيحيّة مسترجعًا الحجج القديمة التي لجأ إليها المسلمون ومواطن سوء الفهم التي تكرّرت على مرّ العصور دون أن يطرأ على تصلّبها تغيير يذكر.

القسم الثاني (ص ١٧١ ـ ٢٤٩) من كتاب الحريريّ أقصر من الأوّل، ولكنّه على جانب من الأهميّة أعظم. فأبو موسى يدرس فيه سبعة ألفاظ أساسيّة دأب المسلمون والمسيحيّون على استعمالها (الوحي، الكنيسة، الله، الإنسان، الدين، الحرّيّة، الخطيئة) ويبيّن

أنّ مفاهيمها عند المسيحيّين والمسلمين مختلفة كلّ الاختلاف. كما أنّه يشير إلى أنّ هذا هو السبب الذي يجعل من كلّ حوار بين المسلمين والمسيحيّين حوارًا بين طرشان.

ثمّ يشرع الحريريّ فيشرح ماذا يعني كلٌّ من تلك الألفاظ لكلّ من المسيحيّ والمسلم. علمًا أنّه على القارئ المسلم أن يقول لنا هل هو يتعرّف على فكره الخاصّ في ما يسوقه أبو موسى على أنّه المفهوم الإسلاميّ لتلك الألفاظ. وقد يكون عمل كهذا مناسبةً مجدية للحوار، شرط أن يُقام في جوّ من الهدوء وحسن النيّة.

كما أنّه على القارئ المسيحيّ أيضًا أن يقول هل هو يتعرّف على فكره الخاصّ وتقليده الدينيّ في ما يراه الحريريّ المفهومَ المسيحيّ للألفاظ السبع. أمّا أنا فأقولها صراحة إنّني على الرغم من كوني أقدّر محاولة أبي موسى وأظنّ أنّني أفهم ما يريد أن يقوله عن المفهوم المسيحيّ لتلك الألفاظ، فلا أوافقه في الطريقة التي اعتمدها للإعراب عن فكره، وإنّي لواثق بأنّ المسلمين، حتّى أشدّهم رغبة في التفهّم، لا يستطيعون الفهم.

فعلى سبيل المثال (ص ٢١٤ ـ ٢١٥) يأخذ أبو موسى على الفلاسفة المدرسيّين في المسيحيّة وعلى الفلاسفة المسلمين محاولتهم «تحديد» الله على أنّه واجب الوجود بذاته، وبالتالي جَعْلَهم إيّاه متعاليًا عن الإنسان، «مُعتزلاً عنه»، «متهرّبًا من واقعه الأليم». إلاّ أنّ مأخذ أبي موسى فيه نظر، لأنّ نيّة المدرسيّين لم تكن «التحديد» بل «التعريف» للدلالة. وظنّي أنّ أبا موسى متشائم هنا، إلى حدّ المبالغة، في شأن قدرة الإنسان على معرفة شيء من ذات الله عن طريق العقل وإن بقدر من الغموض. فضلاً عن ذلك، ثمّة غلط طباعيّ في ختام برهانه، يشوّه المعنى، فنرى أنّ الكلمة الثالثة في السطر الثاني عشر من الصفحة ٢١٥ هي «أمام» لا «أما».

وفي الصفحات ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٤، إذ يقول الحريريّ إنّ الله «يتخلّى عن ذاته»، فهو يستعمل، دون ذكر مصدره، عبارة شعريّة لبولس الرسول (فيليبي ٢ :٧) لا جدوى منها، على ما أظنّ، في حديث مع المسلمين، اللهمّ إلاّ إذا وضّحنا مشدّدين أنّ ابن الله لم يكفّ عن كونه إلهًا عندما اتّخذ طبيعة البشر ودخل عالمنا.

إلاّ أنّ موقف أبي موسى في هذا الصدد موقف الراسخ في قناعته، وهو يرى أنّ هناك اختلافًا جذريًّا بين نظرة المسيحيّة والإسلام إلى علاقة الإنسان بالله. وهذا ما يتطلّب الكثير من الوقت والمجال ليأتي على جانب من الوضوح يستطيع به الآخر أن يفهم المراد.

وفي كلامه على الإنسان يلجأ أبو موسى إلى أسلوب شعريّ أو وجوديّ لا أراه مستحسنًا لما هو بيتغيه. وماذا يعني أن نقول عن الإنسان (ص ٢٢٦) إنّه «كيان بلا حدود» و«حرّيّة مطلقة». هاتان العبارتان مبالغ فيهما وتفتقران إلى الدقّة.

ثمّ إنّ أبا موسى يرفض أن تكون المسيحيّة دينًا (ص ٢٣٤). من الممكن أنّ المسيحيّة ليست دينًا من النوع المتديّن الذي يذكره الحريريّ ويصفه، إلاّ أنّ استعماله للكلمة بحسب مفهومه الخاصّ (وهو مفهوم عدد ضئيل من الكتّاب المعاصرين، لا مفهوم جميع المسيحيّين)

من شأنه ... المسيحية هي بلا مراء دين، وليست دين من نحو ما يكون الإسلام، كما أنّه ليست ديناً بالمعنى المحدود التحقيريّ الذي يصفه الحريريّ

ويقول أبو موسى (ص ٢٣٩ - ٢٤٠) إنّ من الاختلافات بين الإسلام والمسيحيّة أنّ في الإسلام «محبّة الله أولى من محبّة الإنسان»، في حين أنّ في المسيحيّة العكس هو الصحيح، «أي أنّ محبّة الإنسان (...) هي قبل محبّة الله». وهذا غير صحيح على الإطلاق

وما قاله الحريريّ عن الحرّيّة والخطيئة أيضاً لا يكون على الوضوح. فقد صرّح (ص ٢٣٨) أنّه «من أصعب الصعاب، بل من المحال، محاولة تحديد الحرّيّة (...) ويوم يحدّ الإنسان للحرّيّة تحديداً يكون قد قضى عليها». وتسبّب في الكتابة عن ذلك المفهوم على مدى سبع صفحات دون أن يخبرنا ماذا يعني بتلك الكلمة

وفي الصفحة ٢٤٠ يعلن أبو موسى «أنّ الله لم يفرض على الإنسان شيئاً، حفظاً منه على الحرّيّة الإنسانيّة المطلقة. بل إنّ الله لم يقدّم للإنسان دليلاً واحداً على وجوده، وذلك أيضاً حتّى لا يكون الإنسان أسير هذا الدليل». إلاّ أنّه يفرض، بما لا شكّ فيه، أنظمةً طبيعيّة كما يعترف أبو موسى بذلك (ص ٢٣٩). لكنّ حريريّ لم يذكر الشريعة الأخلاقيّة المتجذّرة في طبيعة الإنسان وهي التي يدعوها المسيحيّون بغير المسيحيّين الشريعة الطبيعيّة. وهذه الشريعة فُرضت على كلّ إنسان من الناحية الخُلقيّة، لا الطبيعيّة فقط.

أضف إلى ذلك أنّ عرض أبي موسى للمفهوم المسيحيّ للخطيئة هو أيضاً غير واضح. فهو يعرّف الخطيئة بالنسبة إلى الخلاص في المسيح فقط، «ولولا هذا الخلاص لما كان لنا أن نعرف سرّ الخطيئة» (ص ٢٤٧)، وعليه فالخطيئة «هي موقف الإنسان الرافض للمسيح المخلّص، وليس من خطيئة خارج ذلك» (الصفحة نفسها). وهنا أقول لأبي موسى بكلّ احترام إنّ العكس هو الصحيح. فليفهم الخلاص علينا أن نتساءل: الخلاص من أيّ شيء؟ من الخطيئة بلا شكّ. لذا لا بدّ أن نعرف ما هي الخطيئة حتّى قبل الرجوع إلى المسيح المخلّص، وإلاّ كيف نستطيع أن نعرف ما هو الشيء الذي جاء المسيح ليخلّصنا منه؟

واضح منذ البدء أنّ أبا موسى لم يرد الدخول في مناقشة مع المسلمين حول الإيمان المسيحيّ. وحسناً يشير إلى أنّ مفهوم المسيحيّين لبعض من الألفاظ الأساسيّة هو مختلف. لكنّه إذ يسعى إلى تبرير رفضه للحوار، يشرح تلك المفاهيم بأسلوب فيه من المفارقات والضبابيّة ما يضيّع القارئ المسلم، فضلاً عن كاتب هذه الأسطر.

بقي أن نشدّد في الختام على أنّ هنالك ما هو مشترك وما هو مختلف في مفهوم المسيحيّين والمسلمين للألفاظ السبع المذكورة. فلو توسّع أبو موسى في تبيان ما هو مشترك في تلك المفاهيم، لوُفّق إلى إمتاعنا بكتاب أكثر نفعاً للمسلم والمسيحيّ على حدّ سواء.

د. مروان ت. كرم

أنا وبلاتيرو

تأليف خوان رامون خيمينيث
نقله عن الإسبانيّة أنطوان سعيد خاطر
بيروت، ١٩٩١، ٢٥٤ صفحة

ولد خوان رامون خيمينيث في إسبانيا سنة ١٨٨١ وبدأ الكتابة ولّما يتخطّ الخامسة عشرة، وعاشر كبار الكتّاب والمفكّرين الإسبان من أمثال أونامونو وأورتيغا إي غاسيت ولوركا ودالي. ثمّ أخذ يسافر متنقّلاً بين إسبانيا والولايات المتّحدة حتّى استقرّ في بويرتو ريكو حيث أدركته المنيّة عام ١٩٥٨، وكان قد نال جائزة نوبل للأدب قبل ستّين من وفاته. من أعماله الكثيرة «قصائد أولى»، «أنغام حزينة»، «رياض بعيدة»، «مراثي»، «الوحدة الرنّانة»، «قصائد روحيّة»، «يوميّات شاعر حديث الزواج»، «أبديّات»، «جمال»، «إلّه مشتهى ومشتهي» وسواها. وقد شهد له النقّاد بأنّه من أكبر الأدباء الإسبان في هذا العصر، لا يقلّ براعةً في النثر عنه في الشعر. وبين مؤلّفاته واحدٌ اشتهر شهرةً لا مثيل لها هو «أنا وبلاتيرو».

«أنا وبلاتيرو» كتاب عرّفه الناقل بقوله ـ ونِعمَ القول: إنّه «كتاب يجمع بين الروح الإبداعيّ والطابع الوثائقيّ في حياة خوان رامون خيمينيث وأعماله. هذه القصائد التربّة المتلاحقة إنّما هي لوحات انطباعيّة، على عناية باللون فيها، عن «موغير» مسرح صبا الشاعر وشبابه، وعن بعض حياته فيها بصحبة جحشه بلاتيرو، رفيقه الدائم ونجيّه، وعن بعض أشيائها وناسها، تتوالى الذكريات، وتتعاقب صور العاديّ من الأحداث خاطفةً، مشرقةً جالاً حينًا، أو يطفح منها الهمّ أو القبح صاخبًا حينًا آخر».

وقد وُفّق الناقل في ترجمته إلى حدّ بعيد واستطاع أن يناسب بين جمال المضمون وبهاء أسلوبه، فجاءت كلماته منحوتةً مصقولة، وجُمَله متناغمة متماوجة، تطفر بُعد استكانة وتستكين بعد غليان، فتأنّق وتلتقط النفَس ثمّ تعود فترسل لكأنّها وقصة غجريّة على إيقاع قيثارة أندلسيّة. ولكم وددنا لو لم تشُب هذه الترجمة الجميلة بعض الهنات اللغويّة، معظمها من الأغلاط الشائعة، ولا ندري لماذا يصرّ الكثير من أدبائنا المعاصرين على إقحامها في كتاباتهم سهواً أو عمدًا؟ من هذه الشوائب، على سبيل المثال لا الحصر:

حماس (ص ٤٢، ٨٦) عوضًا عن حماسة.

من حين إلى حين (ص ٦٩، ٧٥)، أو من حين لآخر (ص ١٥١) وكلا العبارتَيْن نقلٌ حرفيّ عن الفرنسيّة (De temps en temps, De temps à autre)، والأصحّ أن يقال: حينًا بعد حين.

من جديد (ص ٥١، ١٤٢، ١٤٨) وهي عاميّة متأثّرة بالعبارة الفرنسيّة De nouveau. والأصحّ أن يقال: ثانيةً، أو مرّة أخرى أو ما كان من هذا القبيل.

في شماليّ غربيّ إسبانيا، والصحيح: في شمال غرب... (ص ٥١، ١٨٠).

الزنابق التي أحمل (ص ٥٩)، والشمعة التي أحمل (ص ٦٤)، في حين ينبغي إضافة الضمير، فنقول: الزنابق أو الشمعة التي أحملها.

رحالٌ هذه (ص ٥٥). والصحيح هذهِ رحالٌ

بصحتها نفسه (ص ١٣٣)، والصيغة ثانيّة. أما الضمير فهو بصحتها هو نفسه، لأنّ الهاء في الصيغة الأولى قد تعني الألفَ (١) في حين أنّ المراد تأكيد سمة الفعل بـ الفاعل.

ومهما يكن من أمر هذه الهفوات العابرة، فالترجمة على جانب كبير من الجمال، ترقى إلى مستوى الروائع الأدبيّة وقد حوّلت صاحبها نيل جائزة الترجمة التي منحها المركز الثقافيّ الإسبانيّ في بيروت سنة ١٩٨٨.

أ. كميل حشيمه

سلسلة «شعراء لبنان»

دار الشرق - بيروت، ١٩٩١

ظهرت عن دار المشرق بواكير سلسلة جديدة عنوانها: «شعراء لبنان». وقد صدر منها أربعة كتب نذكرها وفقًا لأرقام صدورها التسلسليّة:

١ - خليل حاوي، بقلم الدكتور جميل جبر (١١٠ صفحات)
٢ - خليل مطران، بقلم الدكتور منير عشقوتي (١٨٤ صفحة)
٣ - أمين نخله، بقلم الدكتورة هدى نعمه (١٦٤ صفحة)
٤ - الأخطل الصغير، بقلم الأستاذ سهيل مطر (١٤٠ صفحة)

وهي كتب من القطع الوسط (٢١ × ١٤) يحمل غلاف كلّ منها رسمًا فنّيًا للشاعر موضوع الكتاب. وقد قدّمها الناشر بكلمة تشغل صفحة واحدة (الصفحة الخامسة) من كلّ كتاب، يشير فيها إلى غايته من هذه السلسلة، وهي نشر تراث لبنان الشعريّ على قرّاء العربيّة للحفاظ عليه من جهة، ولتحفيز القادرين على متابعة المسيرة من جهة ثانية. ويريد الناشر ألاّ تتقيّد هذه السلسلة بعدد أو بنوع من أنواع الشعر، وأن تتناول دراسة الشعراء المتوفّين دون سواهم. وقد عهدت دار المشرق أمر اختيار الشعراء ودارسيهم إلى الأب يوحنّا قمير.

أوّل ما لفتني، بعد اطّلاعي على هذه الكتب، أنّ دار المشرق لا تزال مستمرّة بتحقيق رسالتها المعهودة في مجال نشر التراث ومساعدة القرّاء على التعرّف به بالطرق المنهجيّة. والآباء اليسوعيّون ضمّنوا نشاطاتهم هذا الالتزام منذ زمن قديم، وسعوا دائمًا إلى تعزيز الثقافة التراثيّة التي من شأنها أن توطّد العلاقة بين الإنسان وبيئته وحضارته، وتعمّق الصلات بين الفرد ومحيطه على أسس من الوعي والإدراك. فليقرأ القيّمون على هذه المؤسّسة ما تسجّله لهم من شكرٍ بطاناتُه عرفاننا بمآثرهم الجليلة.

أمّا فوائد هذه السلسلة - لا سيّما إذا اكتملت - فهي جمّة، وتشمل عددًا كبيرًا من القرّاء: فتلاميذ المرحلة الثانويّة يجدون فيها ما يضيق به صدر الكتاب المدرسيّ الذي يقيّده المنهج الرسميّ عادة، فتتيسّر الدراسة الأدبيّة فيه على لمحة خاطفة عن حياة الأديب، وعلى دراسة نصّ أو نصّين من آثاره، ويعجز بالتالي عن تقديم صورة شاملة وواضحة عن الأديب وآثاره. بينما الكتاب من هذه السلسلة يرضي تطلّعه، ويقدّم له فكرة جليّة عن حياة الأديب وعن العوامل المؤثّرة في أدبه، كما يتمكّن من التعرّف بإنتاجه كاملاً، وبطريقته وأسلوبه، ويطّلع على عدد من النصوص المختارة من عيون أدبه.

وكذلك يستطيع المطالعون أن يتعرّفوا بأدباء لم يدرسوهم في المنهج الرسميّ المقرّر، فيردمون هكذا ثغرة هامّة من ثغرات الثقافة الأدبيّة والوطنيّة.

وفائدة هذه السلسلة تصيب الطالب الجامعيّ بما فيها من منهجيّة بحث وشمول نظرة واتّساع مادّة. إذ إنّ المناهج الجامعيّة كشقيقتها المناهج الثانويّة لا تشمل كلّ الأدباء والشعراء، فيضطرّ كلّ مستزيد إلى البحث عن مراجع سريعة تقدّم له وجوه المعرفة، وترشده إلى المراجع الهامّة إذا شاء التوغّل والتقصّر.

أمّا المعلّم والمربّي، لا سيّما في المرحلتَيْن المتوسّطة والثانويّة، فقد يجد عونًا في هذه السلسلة يوفّر عليه عناء البحث عن بعض المسائل والنصوص في بطون المراجع البعيدة.

يكفي هذه السلسلة أن تكون وفّرت هذه الفوائد لهذا العدد من القرّاء. وأيّ مؤلّف يستطيع صاحبه أن يدّعي أنّه يفيد كلّ الناس على حدّ سواء؟

ولكنّنا، وضنًّا منّا بالمصلحة التي تصدت إليها دار المشرق، نتمنّى على المسؤول عن هذه السلسلة، وعلى دارسي شعراء لبنان أن يعيروا بعض الجوانب درجة أعلى من الاهتمام، فيأتي مثلاً القسم المتعلّق بدراسة شعر الشاعر أكبر من القسم المخصّص لحياته وشخصيّته، أو يتجنّب المؤلّف أحيانًا بعض التكرارات والإطنابات التي لا تلائم رصانةُ البحث، أو يتوقّف دارس الشاعر عند بعض الحقائق التاريخيّة الهامّة فيوليها أهمّيّة أكثر... وأن يعاد النظر ببعض الصيغ اللغويّة والتراكيب الكلاميّة لتحاشي الأغلاط التي تبدو نافرة عمّا عرف من فصاحة أقلام كأقلام دارسي هذه السلسلة، وهم من كبار الأساتذة الذين يشهد بقدراتهم القاصي والداني.

وأخيرًا أرجو لهذه السلسلة الاستمرار لتشمل كلّ شعراء لبنان، ولعلّ سلسلة أخرى لشعراء الزجل تليها لبرى الناس أنّ الشعر فنّا طبع، نعطيه قالب الفصحى إذا تيسّرت الدربة للسانا وإذا رأينا قالبها يلائمه: ونسكبه بالعاميّة إذا عمينا عن قواعدها أو إذا رأينا قالب العاميّة أنسب للمقام. فالشعر في اللبنانيّ جزء من أصالته.

جوزف أبو شقرا

قدّيسة من بلادنا. مريم البواردي

تأليف أديب مصلح

سلسلة «دراسات كرمليّة» ٢، منشورات المكتبة البولسيّة، بيروت، ١٩٩٠، ٣١١ صفحة

من دواعي فخرنا أنّ بلادنا المشرقيّة كانت مهبطًا للديانات المرخّدة، والمسيحيّون العرب يعتزّون بأنّ سلطنتهم أعطت الكنيسة في الماضي شهداء ومعترفين ومعلّمين ومنصوّبين عمائقة كانوا منارات فضيلة وقداسة. والحمد لله لأنّ تيّار العطاء هذا لم ينقطع، والسنوات الأخيرة أظهرت للملأ أنّ شرقنا لم تخمد جذوته، وما زالت أنوار القداسة تشعّ فيه، وخير برهان على ذلك إعلان قداسة الراهب شربل مخلوف وتطويب الراهبة رفقة الريّس، وكلاهما من أبناء الجبل اللبنانيّ. ومنذ سنوات قليلة، في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٨٣، طوّب البابا يوحنّا بولس الثاني راهبة أخرى من بلادنا هي مريم البواردي، أو الأخت «مريم يسوع المصلوب» الكرمليّة، أو «العربيّة الصغيرة» على حدّ ما أسموها تحبّبًا في أديارها بالغرب.

مريم البواردي غير معروفة في بلادنا كما ينبغي أن تُعرف، مع أنّها ابنة هذا الوطن تعود بجذورها إلى بلاد الشام وترعرعت في شمال فلسطين وعاشت مدّة في الإسكندريّة وبيروت قبل أن تنتمي إلى رهبانيّة الكرمل، وأنهت حياتها في بيت لحم سنة ١٨٧٨ ولمّا تبلغ من العمر إلاّ ثلاثة وثلاثين عامًا.

وحياة هذه النفس القدّيسة من أعجب ما عُرف من سِيَر أولياء الله، اتّصفت بالخوارق النادرة كالانخطافات والظهورات السماويّة ومقارعة الأبالسة وقراءة الغيب، إلى جانب فضائل مسيحيّة ورهبانيّة مارستها مريم ممارسة الأبطال، ومن أبرزها المحبّة والطاعة والتواضع.

والكتاب الذي نقدّمه الآن للمطالع هو في الحقيقة من خيرة الكتب، صحّ في مؤلّفه القول المأثور: «أعطِ القوس باريها». فأديب مصلح كاتب رصين طالعنا له الكثير في مجلّة «المرأة»، وقرأنا ترجمته لكتاب «يد الله» لمؤلّفه ماريّا فيتوفسكا، ومن أهمّ كتاباته قصص قصيرة هادفة تمتاز برسوخها في الواقع وانطلاقها بالقارئ إلى أعلى المثل، بأسلوب شائق جميل مستحبّ. ولم يشذّ الأديب المصلح في كتابه هذا عمّا ألفناه في كتاباته الأخرى، سوى أنّه أوغل في السرد والوصف والتحليل والتعليق حتّى بات مصنّفه حجّة تكاد لا تترك في الموضوع زيادة لمستزيد.

وقد وفّق الكاتب أيّما توفيق في تمهيده المستفيض إذ جعله دراسة تحليليّة معمّقة لشخصيّة الراهبة القدّيسة ولِما انصرفت إليه في حياتها من زهد وجهد وصلاة ووداعة. واستند المؤلّف إلى أدقّ ما يمكن الاستناد إليه من مصادر، لا سيّما وثائق دعوى التطويب، فلم يلجأ إلى الخيال بل إلى الوقائع المحض.

ومِمّا يشكر عليه الكاتب أيضًا أنّه أسبغ على صفحاته مسحةً من الأدب الرفيع بأسلوبه السلس الأنيق، ممّا لم نعد نعهده في مثل هذه الكتب إلاّ نادرًا. ويا ليته تحاشى، هو المتضلّع من اللغة، بعض الهفوات المستهجنة، كأن يكتب أكثر من مرّة: قال أنْ (عوضًا عن قال إنّ -

صفحة ١٧٤، سطر ١٥ . . . . ولعلّها أغلاط طباعيّة)، أو يقول: المختارة من الله (في حين لا يُعرف فاعل الفعل المجهول - صفحة ١٧٤، سطر ١٢)، أو يعلن: إنّني، أكثر من أيّ وقت مضى، متبقّى (والصواب: إنّني، أكثر مني في أيّ وقت مضى. . . لأنّ المقارنة هي بين الفاعل ونفسه لا بينه وبين الوقت! - ص ١٦٩ سطر ٢١). فضلاً عن إكثاره من استعمال عبارة «من جديد» عوضًا عن «مجدّدًا»، أو «مرّة أخرى» أو «ثانيةً». وإن نحن أشرنا إلى تلك الهنات فلأنّ الكتاب برمّته هدف إلى راقي الصناعة، فأحببنا أن نساهم في إقالة بعض عثراته، وجلّ من لم يكبُ.

ولنا مأخذ آخر على منهجيّة الكتاب، نسوقه مشفوعًا باقتراح. فلقد غرف المؤلّف في خضمّ الوثائق التي توفّرت لديه وأورد الكثير الكثير من التفاصيل عن حياة الطوباويّ لا سيّما ما كان من أمر التجارب الشيطانيّة التي عانت منها، فجاءت بعض المشاهد والفصول طويلة تتردّد فيها الأحداث المتشابهة بحيث يملّها القارئ العاديّ وحتّى المثقّف غير المتخصّص. ويا ليته اختصر واجتزأ بالأهمّ، وترك التفاصيل المستفيضة للملحق يأتي في آخر الكتاب ليظلّ مرجعًا لطلاّب المزيد والباحثين دون أن يُرهق عامّة القرّاء بكثرة المعلومات.

حتامًا، لا شكّ في أنّ هذا الكتاب عمل جادّ مفيد يشرّف صاحبه وسلسلة «الدراسات الكرمليّة» التي صدر ضمنها، وأملنا أن تكثر في ديارنا الكتب الروحيّة التي تنسج على هذا المنوال.

أ. كميل حشيمه

تاريخ الآداب العربيّة
في القرن التاسع عشر والربع الأوّل من القرن العشرين

تأليف الأب لويس شيخو

ثلاثة أجزاء في مجلّد واحد، الطبعة الثالثة، دار المشرق، بيروت - ١٩٩١، ٥٤٢ ص

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩١٠ في جزئين والثانية سنة ١٩٢٦ في ثلاثة أجزاء منفصلة. ولمّا كان هذا المؤلّف مفقودًا منذ أمد بعيد وهو من المصادر الهامّة والمراجع الأساسيّة لدرس حقبة انبعاث الآداب العربيّة، فقد أُعيدَ طبعه طبعة جديدة أنيقة في مجلّد واحد مع فهارس إضافيّة للأعلام والموادّ. ومن محاسن كتاب شيخو هذا أنّه بالإضافة إلى ميزته الإحصائيّة التي تجري على ركائز البلدان والطوائف والمذاهب، يتضمّن إطارًا تاريخيًا شاملاً لعوامل النهضة بحسب محطّات زمنيّة فاعلة ومؤثّرة ولتراجم الكتّاب والشعراء والمستشرقين.

ك. ح.

تاريخ يسوعُ
* في الإنجيل بحسب لوقا
** في سفر أعمال الرسل

تأليف الأرشمندريت يوسف درّة الحدّاد
سلسلة «دراسات إنجيليّة» ٢، منشورات المكتبة البوليسيّة، بيروت، طبعة ثانية ١٩٩٠، ٤١١ و٢٨٧ ص

هذه الطبعة الثانية أعاد النظر فيها ونقّحها الأب حورج بالبكي البوليسيّ، وقد أخرجت في حلّة أنيقة جذّابة يتصدّر غلافيها أيقونة جميلة تناسب المضمون. والكتابان كما هو معلوم، هما القسم الثاني من مجموعة قوامها أربعة أقسام وفي كلّ من هذه الأقسام كتابان. الأرشمندريت يوسف درّة الحدّاد معين من العلم لا يصدر عنه وارده إلاّ ريّان.

ك. ح.

١ - تاريخ اليونان من فيليّوس المقدونيّ إلى الفتح الرومانيّ

٢ - عصر أوغسطس قيصر وخلفائه ٤٤ق.م. - ٦٩ب.م. ١و٢

العددان ٢٩ و٣٠ من «مجموعة الدكتور أسد رستم»، منشورات المكتبة البوليسيّة، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٩١، ١٣٣ و٢٣١ ص

تقوم المكتبة البوليسيّة مشكورةً بإعادة طبع المجموعة الكاملة لمؤلّفات العلاّمة الدكتور أسد رستم التاريخيّة والدينيّة والثقافيّة، وكانت قد نفدت في حين تمسّ الحاجة إليها. والكتابان المذكوران أعلاه سبقهما ٢٨ آخرون بالعربيّة وتبعهما ثلاثة بالإنكليزيّة.

ك.ح.

الإنسان الأوّل

تأليف هنري دي سان بلانكا
رسوم كاترين نوفيل
نقله إلى العربيّة ووضع معجم ألفاظه التقنيّة والعلميّة
الدكتور حسّان سلامه سركيس
دار المشرق والمكتبة الشرقيّة، بيروت، ١٩٩١، ٨٦ صفحة ملوّنة

هذا الكتاب المجلّد الذي تزيّنه اللوحات الملوّنة هو الجزء الأوّل من سلسلة «قصّة

الإنسان»، وهي تصدر عن منشورات كاسترمان في بلجيكا وفرنسا. والسلسلة مؤلّفة من عدّة مجلّدات (ستظهر تباعًا في اللغة العربيّة) هدفها استحضار المغامرة العظيمة التي قام بها الإنسان في مختلف القارّات، وإحياء الحضارات والثقافات ومسار الأوقات والأزمنة، قديمها وجديدها، وهي تفرد المكان الواسع للصور والرسوم والخرائط إلى جانب النصوص الواضحة في علميّتها. وقد اعتمد المؤرّخون والأثريّون والمدرّسون الذين ساهموا في وضعها على أحدث الأبحاث العلميّة في الكثير من المجالات، كنشأة المدن وبروز الأمبراطوريّات والاكتشافات وحضارات الغرب وإفريقيا وآسيا.

أمّا المجلّد الأوّل، الإنسان الأوّل، الذي صدر حديثًا، فهو يروي بداية قصّة الكوكب الأزرق، أي الأرض، حيث ظهرت الحياة، من الخليّة حتّى الإنسان الذي تتبّع خطواته الأولى في بحثه عن المأكل والمشرب والملجأ والأداة، وتطوّر ذكائه الذي أوصله إلى تدجين النار ودفن موتاه. إنّها قصّة الإنسان الذي ما خرج إلى الوجود إلاّ بعد أن طرأت تطوّرات وتغيّرات جذريّة على البيئة الأرضيّة، أتاحت له أن يبرز، وأن يستمر. فلقد كان من الضروريّ أن تختفي الزحّافات العظيمة أوّلاً، وأن تباشر بعض الحيوانات الصغيرة الرشيقة بتسلّق الأشجار والعيش عليها. وبعد عشرات ملايين السنين، عمدت بعض فروع هذه الحيوانات إلى النزول من تلك الأشجار للعيش على اليابسة وهي واقفة على اثنتين فقط من القوائم.

ويروي هذا المجلّد قصّة تركيب النظام الشمسيّ وولادة هذه الكواكب وبروز كوكب الأرض وما كانت عليه قبل الحياة، وظهور الحياة نفسها. ثمّ ينتقل إلى قصّة الحيوانات على اختلاف غرائبها وتنوّعها. ونكتشف في هذا المجلّد قصّة لوسي، الامرأة الإفريقيّة التي اكتشفت عظامها بعثة دوليّة في منطقة العفار في أثيوبيا سنة ١٩٧٤ وقد عاشت تلك الفتاة منذ ثلاثة ملايين سنة على أطراف الإنسانيّة.

إنّها «قصّة الإنسان الأوّل» للجميع، للطالب في الصفوف التكميليّة والثانويّة وكذلك للجامعيّ المثقّف. في القسم الأخير من المجلّد، ثمّة ملحق يتناول موضوعات الأثريّات والشعوب القديمة والانجراف القاريّ ونهاية الكون، وجدول تاريخيّ ومعجم هامّ ببعض الألفاظ التقنيّة والعلميّة، وضعه الدكتور حسّان سلامه بركيس، مترجم الكتاب إلى اللغة العربيّة.

س. د.

يعقوب السروجي كنّارة الروح وميثارة النعمة
حياته، مؤلّفاته وفكره

تأليف د. بولس الفغالي

سلسلة «التراث السرياني»، ١، دار الشرق، بيروت، ١٩٩١، ٢٠٤ ص

السروجي عالم كبير وشاعر ملهم ومترسّل من أمراء الكلام. كتب في الزهد واللاهوت والكتاب المقدّس، وكان من كبار الآباء السريان. أرادت جميع الكنائس أن تستميله ولكنّه لم ينتمِ إلى حزب، واكتفى بأن يكون راعيًا ومعلّمًا، وما زالت الأناشيد التي وضعها تُدخل تعاليمه إلى قلوب سامعيه، تُردَّد اليوم وعند نحو خمسة عشر قرنًا في الكنائس التي تنتمي إلى الأسرة السريانيّة.

والكتاب الذي ألّفه الخوري بولس الفغالي يشمل في قسمه الأوّل دراسة مستفيضة للسروجي، وفي قسمه الثاني نصوص مختارة من تأليفه.

ك.ح.